التعريف والنقد

اصطنبول

الدكتور شاكر الفحام

أفردت دائرة المعارف الاسلامية مدخلاً مستقلاً لمدينة (اصطنبول) ، تلك المدينة العريقة ، ذات الشهرة الواسعة ، والتاريخ العريض الحافل ، والتي ظلت عاصمة الدولة العثمانية من ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ[١] حتى ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٢ هـ (١٤٥٣ ـ ١٩٢٣ م) .

وقد تحدث كاتب المقال عن المدينة العظيمة الخالدة الحديث المستفيض ، فتناول معالمها في العهد العثماني ، وعرض لأبرز مؤسساتها الدينية والعلمية والعمرانية والمدنية ، وبيّن ما كان لها من مكانة وشأن في ظل الدولة العثمانية . واستغرق هذا الحديث الممتع نَحو ست وعشرين صفحة[٢] .

بدأ كاتب المقال بحثه بالتحدث عن اسم (اصطنبول) ، وتحديد الزمن الذي ظهر فيه ، فذكر أن هذا الاسم كان معروفاً في عصر سلاجقة الأناضول (سلاجقة الروم) والعثمانيين الأوائل . وعدّد مختلف صور نُطق

---

(١) أرخ بعضهم هذا الفتح في حساب الجمل بقوله تعالى : (بلدة طيبة) من الآية الكريمة : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) [سورة سبأ ، الآية ١٥] .

وهذا تفصيل حسابها :

بلدة = ٤٣٦ [ب = ٢ ، ل = ٣٠ ، د = ٤ ، ت = ٤٠٠] .

طيبة = ٤٢١ [ط = ٩ ، ي = ١٠ ، ب = ٢ ، ت = ٤٠٠] .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (ط ٢ ، بالفرنسية) مج ٤ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٥٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الاسم التي عُرف بها عند العثمانيين ، وعند الأرمن من قبلهم .

ثم عطف في حديثه على العرب ، فذكر ماأورده المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) في كتابه : (التنبيه والاشراف) ، وهذا نصُّ ماقاله المسعودي : « ... أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين .... ولثلاث سنين خلت من ملكه بنى مدينة القسطنطينية ..... وذلك في الموضع المعروف بطابلا[٣] من صقع بوزنطيا[٤] ، وبالغ في تحصينها وإحكام بنائها ، وجعلها دار مملكة له ، أضيفت الى اسمه ، ونزلها ملوك الروم بعده الى هذا الوقت[٥] ، غير أن الروم يسمونها الى وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا : « بولن » ، واذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا : « إستن بولن » ، ولا يدعونها : القسطنطينية . وإنما العرب تعبّر عنها بذلك ..... »[٦] .

وماقاله المسعوديّ دقيق صحيح ، فقد ذكر الباحثون المحدثون أن اسم

---

(٣) جاء اسمه في المسالك والممالك لابن خرداذبه ، ص ١٠٥ (ط بريل / ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٩٩ م) : « طافلا » . وسماه ياقوت الحموي (معجم البلدان ـ الروم) : « طلايا » ، ثم قال بعيد ذلك : « وفي أخبار بلاد الروم أسماء عجزتُ عن تحقيقها وضبطها ، فليعذر الناظر في كتابي هذا ، ومن كان عنده أهلية ومعرفة ، وقتل شيئاً منها علماً فقد أذنتُ له في إصلاحه مأجورا » .

(٤) اختلف رسم هذه الكلمة في الكتب العربية بل في نسخ الكتاب الواحد المخطوطة أحياناً ، فهي : بوزنطيا ، وبوزنطا (التنبيه والاشراف : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، مروج الذهب / تح شارل بلا ، فقرة : ٧٣٤ ، ١٢٩١ ، القاموس المحيط وتاج العروس / قسط) . وهي بزنطية (المسالك والممالك لابن خرداذبة : ١٠٤ ، معجم البلدان لياقوت والروض المعطار للحميري ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي / القسطنطينية) .

(٥) يعني المسعودي الوقت الذي ألف فيه كتابه « التنبيه والاشراف » وهو سنة ٣٤٥ هـ . انظر التنبيه والاشراف (ط بريل ـ ١٨٩٣ م) : ٦ ، ١٢٣ .

(٦) التنبيه والاشراف : ١٣٧ ـ ١٣٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المدينة باليونانية : « إس ـ تِنْ ـ بولن IS - TIN - POLIN » ومعناه : في المدينة ، وأن كلمة « اصطنبول » قد نشأت من التغيير الصوتي في نطق الاسم اليوناني القديم(٧) .

هذا كل ماقاله كاتب المقال في دائرة المعارف الاسلامية فيما يتصل باستعمال كلمة « اصطنبول » في كتب التراث العربي : أورد كلمة المسعودي فقط ، ثم اكتفى بها ، لينتقل بعد ذلك الى تفسير تسميتها باسم « إسلام بول » .

ومثل هذا العرض الموجز مخلٌّ يوهم القارئ بأن العرب لم يعرفوا كلمة « اصطنبول » ، ولم يذكروها في كُتبهم ، اكتفاءً منهم بكلمة القسطنطينية المتداولة الشائعة ، وإلا فلا تفسير لإغفال الباحث ماجاء في كتب العرب ، وفيها الشاهد الذي يرشده الى معرفة الزمن الذي ظهر فيه استعمال هذا الاسم « اصطنبول » في الكتب العربية ، مرادفاً لاسم القسطنطينية .

وهاهي ذي جملة من النصوص العربية التي أوردت كلمة « اصطنبول » . وماهي إلا عجالة الراكب ، إذ لم يسعدني الوقت للاستقصاء والتتبع . وأرجو أن أضمّ إليها أخواتٍ لها في مقبلات الأيام .

(١)

١ ـ جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ) : « اصطنبول ، بسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو ولام : هو

(٧) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي مج ٢ : ٨٨٠ (استنبول ١٨٨٩م)، دائرة المعارف الألمانية (بروكهاوس) مج ٩ : ٢٣٩ ، دائرة المعارف الاسلامية (ط ٢ ، بالفرنسية) مج ٤ : ٢٣٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسمٌ لمدينة القسطنطينية . وهناك يبسط القول فيها إن شاء الله تعالى » .

٢ ـ أعاد ياقوت الحموي في معجم البلدان ذكر كلمة « اصطنبول » في موضعين آخرين من كتابه :

أولهما في أثناء حديثه عن « قسطنطينية » ،

وثانيهما في أثناء حديثه عن « نيقية » .

(٢)

وجاء في كتاب الكامل [٨] لابن الأثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) : « ..... ثم ملك قسطنطين ..... وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية ..... والروم تسميها : استنبول ، يعني مدينة الملك .... » .

(٣)

وأما شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (٦٥٤ ـ ٧٢٧ هـ) فقد ذكر « اصطنبول » في كتابه نخبة الدهر ثماني مرات[٩] .

(٤)

وجاء في كتاب تقويم البلدان[١٠] لأبي الفداء (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ) : « .... فنقول : إن القسطنطينية ، وهي اصطنبول ، على الخليج المذكور من غربيّه .... » .

---

(٨) الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٩ .

(٩) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ليبزيغ ـ ١٩٢٣ م) : ٢١ ، ١٤٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(١٠) تقويم البلدان (ط باريس ـ ١٨٤٠ م) : ٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٥)

١ ـ وذكر صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (٦٥٨ ـ ٧٣٩ هـ) في كتابه : مراصد الاطلاع (وهو مختصر معجم البلدان) مدينة « اصطنبول » فقال : « اصطنبول ، بسكون النون وضم الباء الموحدة وواو ولام ، اسم لمدينة القسطنطينية » .

٢ ـ وأعاد صفي الدين عبد المؤمن البغدادي في المراصد ذكر كلمة « اصطنبول » في موضعين آخرين من كتابه :

أولهما : حين تحدث عن « قسطنطينية » ،

والثاني : حين تحدث عن مدينة « نيقية » .

(٦)

وزار ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ) في رحلته الشهيرة مدينة القسطنطينية ، وذكر اسم « اصطنبول » مرتين[١١] .

١ ـ « ..... وهي [أي مدينة القسطنطينية] متناهية في الكبر ، منقسمة بقسمين ، بينهما نهر عظيم المدّ والجزر ، على شكل وادي (سلا) من بلاد المغرب ..... وأحد القسمين من المدينة يسمى « اصطنبول » (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين ، وسكون النون وضم الباء الموحدة ، وواو مدّ ولام) ، وهو بالعدوة الشرقية من النهر ، وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته ..... وأما القسم الثاني فيسمى الغلطة (بغين معجمة ولام وطاء مهمل ، مفتوحات) ، وهو بالعدوة العربية من النهر ، شبيه برباط الفتح .... » .

---

(١١) رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ (ط . المكتبة التجارية بمصر ـ ١٩٣٨ م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ ـ « ....فمنها « مانستار » عمره الملك جرجيس ..... وهو بخارج اصطنبول ، مقابل الغَلَطة .... » .

(٧)

وذكر مرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) في كتابه تاج العروس مدينة « اصطنبول » في موضعين :

١ ـ قال في مادة (ص ط ب ل) : « ومما يستدرك عليه [أي على القاموس المحيط] : أصطنبول ، بفتح الهمزة ، والعامة تكسرها : اسم مدينة القسطنطينية ، نقله ياقوت والصاغاني » .

٢ ـ وقال في مادة (ق س ط) : « ... ثم حُوّل [اي السلطان محمد الفاتح بعد دفنه في البرية] الى « اسطنبول » في ضريح بالقرب من أجلّ جوامعه بها .... وتسمى [أي القسطنطينية] بالرومية بوزنطيا ، بالضم ، وتعرف الآن باسطنبول ، واسلام بول ، وفي معجم ياقوت : اصطنبول ، بالصاد » .

☆ ☆ ☆

هذا ماعثرت عليه مما أوردته العرب في كتبها من ذكر « اصطنبول » .

ولمدينة « القسطنطينية » ولوريثتها « اصطنبول » أسماء كثيرة قديمة وحديثة عرفت بها على مدى تاريخها الحضاري الطويل[١٢] .

(١٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مج ٤ : ٢٣٤ ، مروج الذهب (تح شارل بلا) ، فقرة : ١٢٩١ ، ويقول البكري في معجم ماستعجم والحميري في الروض المعطار (الطوانة ـ القسطنطينية) ان الطوانة (بضم أوله وبالنون) اسم موضع القسطنطينية قبل أن يبنيها قسطنطين (انظر ماسبق ، التعليق رقم ٢) .

أما معجم البلدان ومختصره مراصد الاطلاع فقد اقتصرا على أن الطوانة : بلد بثغور المصيصة . وذكر الحميري في الروض المعطار الموضعين جميعا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد تفرد العرب باسم اطلقوه على القسطنطينية لم يشركهم أحد سواهم في اصطناعه واستعماله وهو « فَروق » :

١ ـ قال أبو تمام :

وقعة زعزعت مدينة قسطنـ ـطين حتى ارتجت بسور فَروقِ[١٣]

٢ ـ قال الخطيب التبريزي في شرحه : « سوق فروق : بقرب قسطنطينية »[١٤] .

٣ ـ وجاء في معجم البلدان لياقوت : « والفَروقُ ، بالفتح ، لقب للقسطنطينية في شعر أبي تمام حيث قال :

وقعة زعزعت مدينة قسطنـ ـطين حتى ارتجت بسور فروق

انه أراد بفروق القسطنطينية . وسوق فروق : موضع بالقسطنطينية » .

٤ ـ وجاء في التكملة والذيل والصلة للصغاني (مادة فرق) : « وفروق : لقب قسطنطينية » .

٥ ـ وفي مراصد الاطلاع (مختصر معجم البلدان) : « وفروق : اسم القسطنطينية ، في شعر أبي تمام » .

٦ ـ وجاء في القاموس المحيط وشرحه تاج العروس (مادة فرق) : « وفروق كصبور : لقب قسطنطينية ، دار ملك الروم » .

٧ ـ وشاع اسم « فروق » على ألسنة شعراء العصر وتداولوه في قصائدهم :

---

(١٣) البيت من قصيدة لأبي تمام في مديح أبي سعيد الثغري ، مطلعها

ماعهدنا كذا نحيب المشوق كيف والدمعُ آيةُ المعشوقِ

(ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، مج ٢ : ٤٣٠ ـ ٤٤٦) .

(١٤) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، مج ٢ : ٤٣٦ ، وفي بيت أبي تمام روايتان : سور فروق ، وسوق فروق ، وشَرَحَ الخطيب التبريزي الرواية الثانية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) يقول أمير الشعراء أحمد شوقي من قصيدة له بعنوان (وداع فروق)[١٥] :

وليت لـــــدي فَروقِ بعضَ بثّي وما فعل الفراقُ غداة راعا

(٢) ويقول من قصيدة له بعنوان (تكليل أنقرة وعزل الآستانة)[١٦] :

مني لعهدِكِ يافروقُ تحية كعيون مائك أو رُبا واديك

(٣) ويقول في قصيدته التي عنوانها (الأندلس الجديدة)[١٧] :

يـــاأمـــةً بفروق فرّقَ بينهم قَـــدَرٌ تطيشُ إذا أتى الأحـــلامُ

(٤) وقال الشاعر الكبير أمين ناصر الدين قصيدة مطولة في نكبة آل عثمان[١٨] ، جاء فيها :

سل فَروقاً والخطبُ يَغْشَى ذراها أين تلـــك العـــلا وذاك الشـــانُ

. . . . . .

يـافروقَ العليـاءِ ليت أبـا الفتـ ـح يرى كيف نابك الحدثانُ[١٩]

. . . . . .

وطني أنتِ يـــافروقُ فـــإن آ لُـــكِ حبـــاً فليس لي ايمـــانُ

. . . . . .

يـوم كانت فروقُ عـاصمـــة الأر ضِ وفيها الهدى وفيها الأمـانُ

. . . . . .

---

(١٥) الشوقيات ١ : ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(١٦) الشوقيات ١ : ١٦٣ ـ ١٦٨ .

(١٧) الشوقيات ١ : ٢٣٠ ـ ٢٣٩ .

(١٨) مجلة الزهراء ، مج ٢ : ٤٤٦ ـ ٤٥٠ (رجب ـ ١٣٤٥ هـ) .

(١٩) أبو الفتح هو السلطان العثماني محمد الفاتح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نثرتكم فروقٌ نثراً على الأر ضِ كما ينثر النجـوم العنـانُ

(٥) وقال الرصافي في قصيدة عنوانها (الجرائد)[٢٠] :

ترى في فروقَ اليوم قراءَ صحفها فريقين من ذي حجـة ومعـانِـد

(٦) وقال في قصيدة عنوانها (مارأيت في بك أوغلى)[٢١] :

ذهبتُ لحيّ في فروقَ تـزاحمت به الخلقُ حتى قلتُ ماأكثر الخلقا

(٧) وقال في قصيدةٍ عنوانها (يادار قسطنطين)[٢٢] :

هـذي صفـاتـكِ يـافروقُ برغم من أثنـوا عليـك بغير ذاك وأطنبـوا

لحق

(٨)

وذكر ابن خلدون مدينة (اصطنبول) حين تحدث في تاريخه عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم . وقد آثر رسمها : (اسطنبول) ، بالسين والطاء (تاريخ ابن خلدون ٥ : ٥٦٢) .

---

(٢٠) ديوان الرصافي : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٢١) ديوان الرصافي : ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

(٢٢) ديوان الرصافي : ٢٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net